المدرسة السياقية

احتلت إنجلترا منذ القرن السادس عشر منزلة رفيعة بفضل الجوانب المختلفة للسانيات العملية التي ازدهرت هناك من أمثلة: تنظيم اللفظ الصحيح وتعليمه، وعلم المعجمات، واختراع نظام الاختزال، وإصلاح التهجئة...

وكان التركيز على علم الأصوات من نتائج تقاليد علم اللسانيات الذي ظهر في بريطانيا، حيث عمل هنري سويت (1845-1912) على تعليم أوروبا الصوتيات، وجعل إنجلترا مهدا لهذا العلم الحديث من خلال كتابه "دليل الصوتيات" الذي ألفه سنة 197، وقد كانت الصوتيات عنده عملية بقدر ما كانت أكاديمية، حيث أبدى اهتماما كبيرا بتنظيم الكتابة الصوتية فيما يختص بمشكلات تعليم اللغة وإصلاح التهجئة، كما كان من أوائل مؤيدي فكرة الفونيم؛ فهي بالنسبة له قضية ذات أهمية عملية باعتبار أنّ الفونيم الوحدة التي يجب أن تمث في نظام الكتابة المثالي.

وسار دانييل جونز (1881-1967) على نهج سويت في الصوتيات؛ حيث أكد على أهمية التدريب الواسع في المهارات العملية مثل الإدراك والكتابة الصوتية ونطق الفوارق الدقيقة بين أصوات الكلام لما لها من أهمية في دراسة اللغة.

كما وضع نظام " نقاط القياسات الأساسية" وهي التي يسرت تدوين الصوائت بشكل دقيق ومنتظم، وبفضل التقاليد التي أرسى دعائمها كل من سويت وجونز أصبح لتدريب الأذن في الصوتيات دور كبير في المقررات الجامعية في اللسانيات البيطانية كما يميل البحث اللغوي في بريطانيا إلى استقاء المعلومات من خلال الاهتمام الدقيق بالتفاصيل الصوتية.

أمّا فيرث (1890-1960) فكان أول من جعل من اللسانيات دراسة علمية متميزة ومعترفا بها في بريطانيا حين انتقل إلى قسم اللسانيات في مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية أين أصبح أول أستاذ في اللسانيات العامة في بريطانيا العظمى.

اهتمام فيرث بالصوتيات الوظيفية:

من السمات الرئيسية في معالجة فيرث للصوتيات الوظيفية أنها متعددة النظم؛ فالنظام الصوتي في أية لغة من اللغات يتألف من عدد من النظم التي تحتوي على احتمالات بديلة تؤدي عملها في نقاط مختلفة من الوحدات الصوتية كمقاطع الكلمات، كما أنه يرى بأنّ الصوت والمعنى في اللغة متصلان مع بعضهما اتصالا

مباشرا، وكأنه بذلك يرفض رؤية التعبير والمضـــمون وجهين مختلفين لعملة واحدة، وهو ما جعلهم يرحبون بإدخال اعتبارات نحوية ضمن تحاليلهم الصوتية الوظيفية حين تسنح لهم الفرصة.

اهتمام فيرث بعلم الدلالة:

يرى فيرث بأنّ اللغة العلمية الحديثة هي قول وليست عملا، وهو الرأي الذي نادى به زميله برونيسلاف مالينوفســكي، ونتيجة لهذا يســتعمل فيرث كلمة "المعنى" التي تتكرر في كتاباته بطرق غريبة نوعا ما. فمعنى العبارة الكلامية هو ما تفعله، لهذا يعتقد أنّ المتكلم بلهجة ما هو بالتأكيد جزء من المعنى الذي يقصــده المتكلم بتلك اللهجة، كما يعتقد أنّ أية خاصية من خصـائص العبارة الكلامية هي جزء من معناها؛ فمعنى العبارات لا يتضـــح إلا من خلال نمط الحياة التي هم جزء منها، وعليه فإنّ فهم عبارة كلامية في لغة أجنبية لا يعني فقط مســاواتها بعنصر ما في لغة المرء نفســه بل يتمثل في معرفة موقعها ضمن شــبكة معقدة من علاقات المحتوى الدلالي التي تكتسبها مع عناصر أخرى من اللغة الأجنبية.

إنّ قول فيرث ومالينوفســكي بأنّ المعنى ينبغي أن يتضــح من خلال الحواس -وهي فكرة ترتبط بالمفهوم المرن للسياق- يوحي بمنهجين في دراسة علم الدللة:

- إنّ المعنى أو الوظيفة في السياق يجب أن يفسر على أنه مدى القبول أو الملاءمة في ذلك السياق، فالعبارة أو الجزء من العبارة لا تكون ذات معنى إلا إذا كان من الممكن أن تستعمل بشكل ملائم في سياق فعلي.
- يفسر السياق بأنه الكلمات في النّص التي تحيط بالكلمة أو الكلمات التي يراد إظهار معناها، ومساواة معنى الكلمة بمجموعة السياقات الكلامية الواقعة فيها.

أنواع السياق:

- **السياق اللغوي:** يتحدد معنى الكلمة انطلاقا من علاقتها بالكلمات التي تكون معها في التركيب اللغوي ذاته، فكلمة عين يختلف معناها باختلاف الكلمات الواردة معها في التركيب.
- **السياق العاطفي:** يحدد درجة الانفعال من حيث القوة والضعف، وعليه فإن استعمال الكلمات يرتبط ارتباطا وثيقا بالحالة النفسية للمتكلم.
- **سياق الموقف:** يقصد به كل المواقف الخارجية التي يمكن أن يقع فيها الكلام، حيث تكتسب الكلمات معان إضافية بالإضافة إلى معانيها المعجمية المشتركة (عين الإنسان: العين الرائية، عين الجمل: الجوز، عين الماء: الحنفية، عين الصواب: الحقيقة،..)

- **السياق الثقافي:** كل الظروف الثقافية التي تساعد في تحديد معاني الكلمات وإكسابها دلالات مختلفة، فكلمة دائرة يختلف معناها في علم الفلك عن معناها في الرياضيات واللغة...

النظرية السلوكية:

كانت الفلسفة السلوكية في الثلاثينات من القرن العشرين التيار الذي لا ينازع، انتقل أثرها إلى العلوم اللسانية مع ليونارد بلومفيلد (1887-1947) الذي ما لبث يؤكد على مكانة اللسانيات باعتبارها علما بأسلوب فلسفي دقيق، فكان بذلك أكبر المتحمسين لهذه الفلسفة وأول من طبق فرضيات السلوكيين في دراسة اللغة التي اعتبرها " سلوكا فيزيولوجيا تجاه مثيرات خارجية"

لقد قام المنهج السلوكي في اللسانيات على مجموعة من الشعارات منها: "اقبل كل شيء يقوله المتكلم الأصلي بلغته، ولا تقبل أي شيء يقوله عنها"، وبعبارة أخرى: يمكن الاعتماد على الوصف اللساني ما دام قائما على على ملاحظة الكلام غير المدروس، ولا يمكن الاعتماد عليه إن كان المحلل قد لجأ إلى طرح أسئلة على المتكلم مثل: هل تستطيع أن تقول كذا وكذا في لغتك؟"

ويرى بلومفيلد أنّ عمل اللساني لا يتعدّى المظهر الخارجي للغة لأنه غير قادر على معالجة المسائل المتعلقة بعلم الأعضاء أو علم الأعصاب، وعليه أن يرفض كل المصطلحات الذهنية التي من شأنها أن تزيد البحث اللساني غموضا مثل: الفكر والصورة والإحساس، وعليه فمن واجب اللساني أن يركز جل اهتمامه على الكيفية التي يتكلم بها المرء عندما لا يفكر بأمر اللغة، وهذا ما جعل أتباعه يقولون بوجوب إبعاد البحث الدلالي عن الدراسة اللسانية؛ ففي علم الأصوات الوظيفي وعلم الصرف وعلم النحو كان لسلوكية بلومفيلد تأثير حميد جعل اللسانيين يطهرون تحليلاتهم من الاعتماد على الحدس وبذلك اتسمت تحليلاتهم بالعلمية، أما في علم الدلالة فإن تفكير بلومفيلد جعله يستنتج أنّ وصف المعنى كان عمليا ضربا من المستحيل، وهي نتيجة سليمة رغم اعوجاج تفكيره الذي يقول بوجود حوافز ملحوظة كامنة تسبق نطق الكلام، حيث تمر العملية بالمراحل الآتية:

- هناك أحداث واقعية سابقة للعملية الكلامية
- العملية الكلامية
- هناك أحداث واقعية لاحقة للعملية الكلامية

منهج بلومفيلد في الدراسة اللسانية:

عارض بلومفيلد اعتماد كل تفسير نفساني للحدث اللساني، وطالب بمنهج ألي محض بهدف إامة دراسة لغوية قائمة على قواعد صارمة، لهذا انتفض على النظريات اللسانية للمدلول واعتبر الدراسات الدلالية أضعف مستوى من البحث اللساني، ذلك " أنّ المنهج الذهني في نظره ينظر إلى التغيرات في السلوك الإنساني على أنها عائدة إلى عوامل غير فيزيائية" ، في حين أن المنهج المادي يعتبر هذه التغيرات السلوكية عائدة إلى نظام

فيزيولووجي جسمي معقد، فالسلوك هنا يخضع لعاملي المثيرات والاستجابات وهذا شبيه بالدراسات الفيزيائية والكيميائية.